ولا شك ان من اهداف عقد مؤتمر السلام هو حل مشاكل اقتصادية لاسرائيل ولتحقيق مصالح امريكية اخرى. وربما تكون اسرائيل هي المحرك الرئيسي لعقد مثل هذا المؤتمر. ان اسرائيل تكلف امريكا مبالغ طائلة سنويا. فمن اجل ان تتخلص امريكا من هذا العبء المفروض في ميزانيتها وحل مشكلات اقتصادية على المدى القريب والبعيد في ميزانيتها، سعت امريكا لعقد مثل هذا المؤتمر. خاصة ان العرب وجدوا انفسهم من غير اتحاد سوفيتي يتكئون عليه، واصبحت امريكا بعد تحلل السوفيتية كقوة عظمى وارادية هي القائد العالمي الاول من ناحية ميزان القوى العسكرية، خاصة بعد حرب الخليج، ولذلك وبسبب طبيعة التفكير العربي الذي ينتهج العوطفية دائما، تلك الطبيعة التي اما ان تقبل بكل ما هو واقع، او ترفض كل ما هو واقع، وعلى الجهتين اعتقد انه تكون تخدم الى حد ان هذا الواقع مبني حسب معادلة مرسومة لتقتصر مصالحنا وتقيد بنا من الجانب الاستعماري.

اعتاد العرب ان يجللوا الواقع، ان يناقشوا الواقع، ان يرددوا الواقع، ان يلحوا الواقع، ان يتغنوا بالواقع، ولكنهم لم يصنعوا الواقع، وان يصنعوا يكون واقعا مبني على الفوضوية وليس على المنطق.

ان كلمة منطق هنا فضفاضة ومطاطة، وكل يستطيع ان يكون لنفسه منطقا مبنيا حسب وجهة نظره او مصلحته. فالاستعمار منطقه له عناصر ضمن معادلات موزونة، وللحرية منطق ايضا ضمن معادلة لها حدودها واوزانها. ولكن المنطقان متناقضان، والاستعمار يعتبر حرية الاخرين اعدام في حقه. ان ما تفعله امريكا الان يقع على اجزاء من المعادلة الامريكية في منطقة الشرق الاوسط وربما يقع على معادلة امريكا العالمية كلها مضمن والمعادلة واحدة في الرؤية.

ان التقارب الذي يظنه العرب تقاربا ما هو الا حلقات تتقاطع ضمن سلسلة امريكية. ربما ان الحلقات التقاطع هذه تمثل مصالح مشتركة، وربما ان الحلقات امتصاص لتهضم ما تريده امريكا وتغذي به بقية اجزاء السلسلة او المعادلة الامريكية لضمان بقائها وتوسعها، وربما ان المؤتمر اهم لتحقيق ما تريده امريكا.

قبلنا في هذا السلام او رفضناه فنحن لا نزيد على الحسابين ، خاصة انه لم نعرف
كيف نسير مع هذا السلام وكيف نسيّره ان كانت باستطاعتنا ذلك ، وانه لم يضع
العرب برنامج ومعادلة يسيرون عليها لطرح واستيعاب كافة مراحل المؤتمر فسيكون
هذا السلام او عدمه هو عملة تتكون من وجهين لنفس الصورة ، ان جزءا
المراهنة على الوجه الاول فلا يعني هذا ان الامل فانه يكمن في الوجه الآخر ،
لان الخطأ لا يكمن في مؤتمر السلام ولكن في طريقة تفكيرنا كعرب .

ان مدة عقد المؤتمر ستحدد بالوقت الكافي لامريكا لكي تدرس الواقع عن
قرب اكثر وترتيبه حسب معادلتها ، وانا سنستنتج من ذلك انه لم يتدارك العرب
الموقف من خلال رسم معادلة خاصة بهم وقادرة على امتصاص كل الظروف وتجييرها
للصالح العربي وللتطلع العربي من اجل تحقيق التنمية في كل الوطن العربي .

ان هذا المؤتمر يجعل كل الوطن العربي بكل امكانياته السياسية والاقتصادية
والعسكرية وحتى الفكرية كتابا مفتوحا تقلب امريكا صفحاته بكل عناية وترصد
كل تحركاته لتصنع منه حدثا يعمل بدبلوماسية امريكية وليصب في نهاية المطاف
ضمن المصلحة الامريكية ، فالتحلل العربي يعني تمكين الوجود الامريكي ، والتماسك العربي
من اجل قوة منطقية ترتبط يعني ان امريكا قادرة على ضرب هذه الوحدة متى
شاءت .

منذ هذه الخطوة (مؤتمر السلام) لم تعد القضية قضية فلسطين فحسب ،
بل قضية كل الوطن العربي ان وقعنا في اي خطأ .

في زيارة بيكر الاخيرة لاسرائيل وفي لقائه الاخير شامير بتاريخ ١٨/١٠/١٩٩١
صرح بيكر في لقاء صحفي ان هناك مصالح مشتركة وقوية بين اسرائيل وامريكا وان
وجود اسرائيل ضروري لتحقيق المصالح الامريكية وكذلك بالنسبة لاسرائيل .

ان موقف الاتحاد السوفييتي اصبح هزيلا منذ ان سمح للمهاجرين اليهود
القدوم الى اسرائيل . وان هذه الاعداد الهائلة اصبحت تشكل مشكلة للاقتصاد
الاسرائيلي ، خاصة من ناحية عدم القدرة على توفير فرص عمل مناسبة لهم ، وصعوبة
قيام مشاريع استثمارية ضمن الظروف السياسية الحالية ، وان حصل فانه اوربما
عدم توفر الاموال الكافية لتوسيع هذا الانتاج ستقف عقبة في طريق اي عملية
استثمارية قوية في اسرائيل ، وسيكون البديل هو مضاعفة المساعدات الامريكية .
ضمن الضمانات الامريكية لاسرائيل هو الغاء المقاطعة العربية الاقتصادية لها ،

لحل مشكلة القضية الفلسطينية . مع ان الضمانات الفلسطينية غير واضحة بالدرجة انه يمكن تحويلها لسراب او هي كالاحجيا قادرة على التشكل والتنصل من اي مسؤولية ، ان حل مشكلة القضية الفلسطينية يكاد يكون اهم للوصول للعافية الاقتصاد والاستقرار العربي . خاصة انه في احدى نشرات الاخبار من الراديو الاسرائيلي اذيع انه ضمن الضمانات الامريكية المحافظة على التميز النوعي للانتاج الاسرائيلي . ويعني ذلك امكانية وضع شروط ومخططات واتفاقيات عربية امريكية تشكل عقبة امام اي تنمية عربية سواء زراعية او صناعية او غيرها ، وربما يتم ذلك من خلال مساعدة كل بلد عربي على حدة عن طريق اعطائهم قروض ومساعدات مشروطة تفقده القدرة على صنع اي نمو محلية تنموية . تضمن تميز نوعي للانتاج الاسرائيلي تماما كما حصل في الحاضر اقتصاد الضفة الغربية لاسرائيل وفتح المجال في الضفة وغزه امام الصناعات الاسرائيلية وتفرد اسرائيل بالصناعات التكنولوجية والصناعات الثقيلة .

ان الثغرات في هيكلية السياسة العربية كثيرة وخاصة ان كل بلد عربي سياسة مستقلة عن بقيته ، ومن هنا يتضح تقطع المعادلة العربية ، ومن هنا تبرز امكانية امريكا وغيرها من الافتراس والتغذي من هذا الواقع العربي .

ان العرب منذ عقود من الزمن وهم يتخبطون ليدركوا الحل ودون جدوى وذلك لان العمل يحتاج لتخطيط ودراسة وتدرج منطقي ، وهم يفتقرون لوضع برنامج او رسم معادلة تحتوي كل الدول العربية بكل امكانياتها وقدراتها .

فمرة يظن العرب بان الوحدة السياسية هي القادرة على التحدي والمواجهة . ومرة يظنون ان الحل السياسي وحده هو الكفيل بحل المشكلة ، ومرة يظنون بان القوة العسكرية هي الاقدر فيصلون فيما يعودون بشكل استنزافي وانتحاري لشراء الاسلحة من اعدائهم (فالسعودية هذه الايام تسعى لشراء سلاح امريكي بحوالي ١٣ مليار دولار) وهم يدركون انه سلاح غير كفؤ لمواجهة الاعداء الحقيقيين وانه كفؤ ليقاتلوا بعضهم به ، وهذا كله ما تناسب مع المعادلة الامريكية الاقتصادية والسياسية (فمعادلة امريكا واضحة وهي اقتصادية ، فهي تكرس العمل السياسي والعسكري والفكري لتحقيق المكاسب الاقتصادية في النهاية) .

ومرة اخرى يظن العرب بان الاستقطاب العالمي قادر على حل المشكلة الفلسطينية او المشاكل العربية ، مع ان المنطق العربي والامريكي غير قادر ان يتفاعل مع هذا الاستقطاب الا من باب تجييره وتحويله لمصلحته مرة أخرى .

ماهي الا حبر على ورق ، ستكشف عن حقيقة زيفها بعد ان تثبت قدمها بشكل
متواصل في المنطقة وبعد ان تتخضم اي قدرات عربية وبعد ان تضمن انه لن تقوم
لهذا الوطن اي قائمة .

ان العمل السياسي وحده غير كافي ، ان الوحدة السياسية وحدها غير كافية ،
والقوة العسكرية وحدها غير كافية ، والوحدة الاقتصادية من غير دراسة
وبدون وضع اولويات لها لاتحقق شيئا . اننا نحتاج كل ذلك معا حتى ان واحد
ليعمل ضمن معادلة واحدة قادرة على هضم كل الامكانيات لتستطيع ان تنمي
كافة المجالات ؛

وقد حصل ان كان هناك وحدات سياسية عربية اثبتت فشلها منذ محاولة
بناء الحجر الاول على اساس هذه الوحدة ، حيث اثبت هذا الحجر ان لا اساس له ليبنى
عليه . كما ان القوة العسكرية لوحدها لاتحقق شيئا وهذا ما اثبته حرب الخليج ،
فمن خلال التفكك العربي استطاع العالم كله ان يتوطن معسكرا وجيشا على
الارض العربية لمحاربة العراق ، واثبت حرب الخليج انه دون غطاء عربي لن تنجح
اي قدرة عربية في بناء سلاح نووي حرا لذلك ، وان امريكا ولعدها قادرون على
تدميره وهو في مهده او في اي مرحلة كان (وضرب اسرائيل للمفاعل العراقي وضرب
امريكا لليبيا يثبت ذلك عدا عن حرب الخليج) .

اذ ان وجود اي قوة نووية او امكانية تواجد قوة نووية في المنطقة
يمكنه ان يهدد الوجود الاسرائيلي ، وزوال الوجود الاسرائيلي يعني ان على
الاستعمار الغربي او الامريكي ان يحتل الوطن العربي بشكل مباشر ، وهذا
ما سيدفع من تكلفة المصاريف الاستعمارية ، وهذا ما لا يرغبه الاستعمار لانه
سيفشل كما فشل في استعمار فرنسا الجزائر لانه يبقى استعمار وليس استيطان
مثل اسرائيل ، ولذلك فستعمل امريكا على ابقاء قوة اسرائيلية كامنة لحماية
نفسها وان احتاجت للقوة اكبر فقد اثبتت حرب الخليج ان الاستعمار الغير مباشر
قادر على المسارعة لمد اسرائيل بأي سلاح او دفاع تحتاجه ولكن بعد ان لم يعد
من الحاجة ، لانه ليس ايضا في صالح امريكا او غيرها ان تحتل اسرائيل كافة المنطقة
لانه في هذه الحالة لن تعود اسرائيل في حاجة لهم وستصبح مصالحهم متقاربة ، لكن ما
هو عليه الوضع مع العرب . وهنا تكمن الثغرة في المعادلة الامريكية ، وهنا
يكمن مفتاح المعادلة الامريكية ، فامريكا تريد سيطرة الامريكيه والغربيه الاستعمارية
[illegible]

وهي ضد السيطرة الاسرائيلية الشاملة على المنطقة لان الحالة الاولى لن تدوم والحالة الثانية ستجرب كل الموازين الامريكية لامكانية تكوين تكتلات سياسية وعسكرية على عكس المخطط الامريكي ، فلذلك ان القوة الوحيدة القادرة على كسر المعادلة الامريكية هي الوحدة العربية (الوحدة غير الظاهرة حتى تقوى) فهي الكفيلة بخلع واجتثاث ومزقلة الاخطبوط الاستعماري من المنطقة .

اذن فنحن بحاجة للوحدة السياسية والوحدة العسكرية والوحدة الاقتصادية في ان واحد ولكن لن يتم ذلك الا بالتأني معينة ، ربما يمكن العرب ان يستعيدوا قوتهم من خلالها . من هنا ربما يمكن للعرب ان يبنوا معادلتهم الكفيلة باستيعاب وهضم وحل كافة المشاكل العربية .

ان هنالك دراسات كثيرة حول ماهية اقتصاد الدولة الفلسطينية والتنمية العربية ، وهنالك اجتهادات كثيرة وربما يكون بعضها صحيحاً وغاية في الدقة ، ولكن ربما هذه الدراسات تفتقر الى الارض الصلبة التي يمكن بناء تلك النظريات عليها .

حقيقة ان قيام اقتصاد على اساس زراعي سيكون ضعيفاً لعدم توفر البيئة الزراعية المناسبة ، ولعدم توفر المياه الكافية . اما من ناحية كون قيام صناعة فبالرغم من توفر بعض المواد الخام الا انه ينقص الكم الكافي (للدولة الفلسطينية وهذا يمكن ان ينطبق على كل دولة عربية بمفردها) ، ولا يعني ذلك استحالة قيام صناعة بشكل شامل في هذه الدولة لامكانية توفير ما ينقص من المواد الخام عن طريق البحث والاستيراد وخاصة من دول عربية ، وكذلك نجد البعض ينادي بقيام التصنيع التكنولوجي وذلك لانه يتناسب مع ما هو متوفر وما يمكن توفيره من امكانيات ، سواء من ناحية استخدام الخبرات العربية والفلسطينية والاجنبية مع امكانية توفير رؤوس الاموال ، ولكن حتى هنا نحتاج لضمان سلامة هذه الخبرات والكفاءات خاصة ان بات الوضع مكشوف امام الاعلام والعيون الاستعمارية (منذ حرب العراق عملت طواقم التفتيش لمعرفة اسماء واشغال ومعلومات وعناوين الخبراء العراقيين) ، فاين العمل العربي ، حتى الفلسطيني للتعرف عليهم وكسب معلوماتهم وضمان سلامتهم)

ومع ذلك الا يمكن ان نسأل انفسنا انه طالما لا يوجد امكانية تطور تكنولوجي اكثر مثلما لم تستفد من هنا الوضع اي دولة عربية اخرى وخاصة انه متوفر لدينا في الدول العربية كافة انواع الخامات تقريباً ، فلماذا جميع الدول العربية تعتبر دول نامية ، ولماذا لا يوجد فيها دول متقدمة سائرة على النهج الذي

خبراء محليين وعالميين على تطوير اساليب اكثر تطورا لتوفير المياه عن طريق تحلية مياه البحر مثلا. ومهما كلف ذلك فهو خطوة اساسية وضرورية لان عملية تحلية تعطي تقدم اقتصادي على كل الاصعدة (فقط الدول المتقدمة صناعيا وتكنولوجيا لا تهمل جانب المياه في بلادها بالرغم من توفره عندهم بوفرة نسبة للوطن العربي، وهم يعملون على تحلية المياه او توفيرها بكافة الوسائل الاخرى) خاصة ان توفر المياه وتحقيق الامن الغذائي سيوفر البيئة الصحية اللازمة.
ومهما نفخر من ثقافة وتعلم فان هذا غير كافٍ لخلق التطور والابداع والتقدم ضمن بيئة غير صحية ومتخلفة. فان عدم توفر بيئة صحية سيزيد التوترات النفسية والفكرية والاجتماعية وسيقلل من القدرات العقلية وسيقتل الروح الابداعية وسيشرد اي قدرات وكفاءات وافدة.
ان الوحدة العربية هي حلقة وصل بين الاساس والقمة.
فالاساس هو تحقيق التطور الزراعي والامن الغذائي عن طريق توفير المياه والاساليب العلمية والتكنولوجية اللازمة مما يوفر قاعدة وهدية اساسية وقاعدة لتكون منطلقا او مخططا لبناء قوة صناعية وعسكرية وتكنولوجية فالقمة اساسي وهذه لا يعني شيئا ولا تحقق شيئا ان لم يمهد لبناء وتطوير قوة عسكرية. اثبتت العراق ان كان العرب قدرة لصنع وتطوير اي سلاح. واثبتت حرب الخليج ان ما هاجم العراق (الدولة الوحيدة مقابل حوالي ٣٠ دولة ومن بينها اعظم دول في العالم) ليس القوة العسكرية للدول المواجهة بل التفكك العربي الذي اعطى الفرصة الكاملة لهذه الدول في تحشيد اسلحتها وتقدم تجهيزها، فلم تكن اسلحتهم متأهبة للقتال وتكدسها استعدت على الارض العربية بسكوت ورضا الدول العربية.
كيف تحقق سلام وامريكا تسعى لتصدير سلاح نووي في منطقة الشرق الاوسط في الوقت الذي تبقي فيه على القوة النووية الاسرائيلية. كما ان حلف شمال الاطلسي لن يبقى على تدمير الاسلحة النووية بل ربما كما يزعم سيعمل على تخزينها فقط، وامريكا تعطي لنفسها حق الاحتفاظ بتطوير الصواريخ عابرة القارات (وهي متطورة حتى على الصواريخ طويلة المدى الروسية) وهي تجري تجارب ناجحة لحرب نووية متطورة جدا ومستخدمة الجيش الامريكي وسلاح نووي حقيقي في حروب مختلفة. فاي سلام وتحن لا نمتلك القدرة على احتواء ما يريده

هذا السلاح قادم من امريكا واسرائيل فلا يمكن ان نسميه سلاحا ابدا لانهم لن يوافقوا على بيعه لنا الا اذا امتلكوا القدرة على قتله أولاً بأول. فأين التجهيز العربي للاستعداد لكل ذلك، ولماذا التعاون العربي، فنحن لا يمكن ان نبدأ من القمة ونحن نقف على اقل من عتبة الصفر.

ان امريكا وكل الغرب يتعامل مع نفسه بمنطق المساومة، ومن يملك قدرة اكبر عليه امتلاك قوة الظلم، وهذا هو الظلم الذي يبنوا معادلتهم عليه.

انهم يساومون على الوطن العربي كله، فهم يساومون على ارضنا وعلى تفكيرنا وعلى مرشدنا وعلى انسانيتنا وعلى مصيرنا. ونحن العرب نخون هذا المنطق من باب ومن باب طبيعة ظروفنا ومعيشتنا كونتنا على الكرم والصدق والتصديق، فيمكن ان نغش بسهولة لاننا انفعاليين اكثر منا منطقيين، والا لماذا لم نستطع ان نخلص انفسنا ونتحكم بمصيرنا. اما ان الاوان للعرب ان يتعلموا الحساب لمنطق اهرامه فات الاوان. (ان اللبنانين منطقهم ربما يعتبر دائي وسيطي حساب الربح ولكنهم تغلب لهم كل الحسابات المعقدة).

ان العرب اذا امتلكوا المال والنفط امتلكوا قوة كبيرة للمساومة ولكنهم لا يملكون ان يملكوا المال والنفط الا اذا وضعوا قدمهم في بداية الطريق من اجل الوحدة ولا يهم ان تكون الوحدة واقعة ولكن ان يوضع على الاقل برنامج واضح ومدروس قابل للتطبيق لتحقيق الوحدة.

وعلى كل الاحوال فان الاموال العربية مهدورة تحت عناوين عديدة، فلنا نبددها من غير استثمار، فعلى الاقل الا يمكن ان نستثمر هذا الاهدار ونعرف كيف نبدده ولمن. من هنا يمكن ان نبدأ العمل السياسي، ومن هنا يمكن ان نبدأ ~~بحل المعادلة~~ بوضع الخطوط الاساسية للمعادلة، ولا تنجح المعادلة الا تحت مظلة اول خطوة في طريق الوحدة العربية الغير معلنة وتحت العمل السياسي الخفي.

من هنا ربما يمكن ان نقدر على تكسير المعادلة الامريكية على شكل منهجي مفاجئ لكل العالم ولكنها غير مفاجئة لنا لاننا نحتاج وقتا ونشاطا لنزرع ونحصد، وربما من هنا يمكننا ان نستعيد قوتنا العسكرية والسياسية والاقتصادية والفكرية، ومن هنا يمكن ان نستعيد مرشدنا الانسانية، وان نقرض ما شئنا من العدالة الانسانية.